غريب الحديث: فخر: سقط.

جراد من ذهب: قطع ذهب تشبه الجراد من حيث الشكل والكثرة.

يحثي: يأخذ ذلك بيده ويرميه في ثوبه.

فقه الحديث: * الحث على التماس ما يزداد الإنسان به بركة وفضلاً.

* جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه.

* فضل الغني الشاكر، وسيأتي مزيد توضيح في الباب الآتي.

* جواز الاغتسال عرياناً إذا كان وحده في خلوة، وإن تَسَتَّرَ فالستر أولى، ووجه دلالة ذلك في الحديث أن الله عاتب أيوباً على جمع المال، ولم يعاتبه على الاغتسال عُرياناً؛ فدل على جوازه.

* إثبات صفة الكلام لله تعالى.

٦٤ ـ باب

فضل الغَني الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها

وهو القائم بما أمر الله تعالى في المال وآتى الحقوق الواجبة فيه فعلاً وتركاً، وهي:

أ ـ أن يأخذه من الوجوه المأذون بها شرعاً السالمة من الغش والمخادعة وسؤال الناس واستشراف النفس.

ب ـ أن يعطي كل ذي حق حقه بالإنفاق على الأهل ومن تجب إعالته دون إسراف ولا مخيلة ولا تقتير، وإخراج الزكاة والواجبة، والتصدق منه في طرق الخير؛ فإن في المال حق غير الزكاة.

ت ـ أن ينفقه فيما يجوز شرعاً ولا يتخذه وسيلة لارتكاب المحرمات؛ فإن بعض الناس يكسب ماله بالحلال، ولكنه ينفقه في الحرام، عياذاً بالله.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

يبشر الله تعالى من أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله في أمره وصدق بالمجازاة على ذلك، وأيقن أن الله يبارك له ويخلفه ويوسع عليه بالخير المؤدي إلى جنة عرضها عرض السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١].

هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث كان يعتق على الإسلام بمكة، فإن قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ فالجواب: نعم، هو كذلك، لكن أبا بكر مقدم الأمة بعد رسول الله ﷺ، وسابقهم في جميع هذه الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقاً، تقيّاً، نقياً، كريماً، جواداً، بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ؛ فكم من دراهم ودنانير بذلها راضياً ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها؟

ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل؛ فكيف بمن عداهم؟

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله؛ دعته خزنة الجنة: يا عبد الله! هذا خير».

فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة؛ فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

ولا شك أن أبا بكر رضي الله عنه داخل فيها وأولى الناس بعمومها؛ فإن لفظها لفظ العموم.

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

الآية تدل على فضل إخفاء الصدقة سواء أكانت مفروضة أو مندوبة؛ لأن ذلك أبعد

عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية، فمن فعل ذلك؛ حصل له خير كثير من رفع الدرجات وتكفير السيئات، ولا يخفى على الله من ذلك كله شيء وسيجزي عليه.

وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

مضى تفسيرها في باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد.

والآيات في فضلِ الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرة معلومة.

٥٧١ ـ وعن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا حَسَد إلاَّ في اثنَتَينِ: رجُلٌ آتاهُ الله مَالاً، فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجُلٌ آتاه الله حِكْمَةً فُهو يَقضِي بها ويُعَلِّمُهَا**» متفقٌ عليه وتقدم شرحه قريباً.

مضى توثيقه وشرحه برقم (٥٤٤) في باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى.

٥٧٢ ـ وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لا حَسَدَ إلاَّ في اثنَتَينِ: رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآنَ، فهو يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله مالاً، فهوَ يُنْفِقهُ آناءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ**» متفقٌ عليه.

«الآناءُ»: السَّاعَاتُ.

توثيق الحديث: أخرجه البخاري (٩ / ٧٣ ـ فتح)، ومسلم (٨١٥).

فقه الحديث: أفاد كالحديث السابق.

٥٧٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ فقرَاءَ المهاجرينَ أتَوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذَهَبَ الدُّثُورِ بالدَّرجاتِ العُلى، والنَّعيمِ المقيم، فقالَ «**وَمَا ذَاكَ؟**» فقالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، ويصومونَ كما نَصُومُ، ويتصدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ، ويَعتِقُونَ ولا نَعتِقُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أفلا أُعَلِّمُكُمْ شَيئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، ولاَ يَكُونُ أحَدٌ أفضلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعتُمْ؟**» قالوا: بَلَى

يا رسولَ اللهِ، قالَ: «تُسَبِّحُونَ، وتَحمدُونَ وتُكَبِّرونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ مَرَّةً» فرجعَ فُقراءُ المُهاجِرينَ إلى رسول الله ﷺ، فقالُوا: سمعَ إخوانُنا أهلُ الأموالِ بِمَا فَعلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ:

«ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» متفقٌ عليه، وهذا لفظ روايةِ مسلم.

«الدُّثُورُ»: الأموالُ الكثيرةُ، والله أعلم.

توثيق الحديث: أخرجه البخاري (٢ / ٣٢٥ - فتح)، ومسلم (٥٩٥).

غريب الحديث: ذهب: حاز واختص.

بالدرجات العلى: الرفيعة وهي القرب من الله تعالى.

النعيم المقيم: نعيم الجنة الذي لا ينقضي أبداً.

يعتقون: يحررون الرقاب.

فقه الحديث: * حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل الخيرات، وتنافسهم في أمور الآخرة، واستكثارهم من ذلك.

* ما كان عليه السلف الصالح من إنفاق المال في سبيل الله وقيامهم بواجب شكره رجاء لما عند الله.

* وجوه الخير كثيرة وطرق تحصيل الأجر متعددة ومتنوعة، وقد سبق بيان ذلك في بعض روايات الحديث برقم (١٢٠) في باب بيان كثرة طرق الخير.

* حرص فقراء المهاجرين على التعلم؛ حيث قالوا: بلى يا رسول الله، أي: نريد أن نتعلم ذلك لنعمل به لنلحق من سبق، ونحوز به على من بعد فضل السبق.

* من أراد أن يتعلم أمراً ينبغي عليه أن يسأل أهل العلم ليفتوه.

* فضل الله عظيم يؤتيه من يشاء، ولا يحق للمرء الاعتراض عليه سبحانه فيما تفضل على عباده؛ لأن ذلك لا ينافي حكمته وعدله، وليعلم المرء أن العطاء من الله امتحان، والمنع منه سبحانه ابتلاء؛ فالمؤمن يشكر عند العطاء، ويصبر عند المنع، ويعلم أن كلَّ ذلك بقدر.

* جواز مراقبة أهل الخير والعلم إن كان لا يعود عليهم بالضرر، وهذا من باب:

«لا حسد إلا في اثنتين. . .» الحديث.

٦٥ ـ باب
ذكر الموت وقصر الأمل

اعلم أيها العبد أنك راجع إلى ربك حيث سترحل من هذه الدنيا لزاماً؛ فإن نهاية الخلق فيها الموت لقوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦].

والموت أمر وجودي، فهو مخلوق؛ فقد قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ [الملك: ٢].

ووسائط قبض الروح هم الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ [السجدة: ١١]، وقوله: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ [الأنفال: ٥٠]، ولكن المميت على الحقيقة هو الله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: ٤٢].

فإذا استقر العبد في دار الخلد؛ إما إلى جنة النعيم، أو إلى نار الجحيم؛ جيء بالموت على صورة كبش فيذبح على مرأى ومسمع أهل الجنة والنار حسب ما ورد في الخبر الصحيح عن النبي ﷺ.

ولذلك؛ فالموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، وحيلولة بينهما على الصورة المعهودة، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، فمن علم ذلك؛ كان الموت أقوى داع له لإحسان العمل وعدم الغرور وقصر الأمل.

والأمل المذموم هو التسويف مع الإدمان على المعصية، وتأخير التوبة، والتمني على الله الأماني، نسأل الله السلامة.

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يخبر تعالى إخباراً عامّاً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت؛ فهو تعالى